القرار المجنون

قصة بقلم **عبد الكريم الشطي**

قصة للفتيان من إصدارات حملة ركاز الإعلامية العاشرة

ركاز
rekaaz.com | 9443 1460

القرار المجنون

قصة بقلم عبد الكريم الشطي

"أريدكم أن تستقيلوا من وظائفكم غداً صباحاً؟"

فوجئ الأبناء الثلاثة من طلب والدهم، الذي دعاهم لاجتماع طارئ في المنزل، وأكد عليهم عشرات المرات بضرورة الحضور، دون أن يخبرهم بسبب الاجتماع أو سره، تاركاً أبناءه نهب الأفكار والوساوس. والدهم معروف بسعةً الصدر، والحكمة والتجربة، والنظرة العميقة للحياة، فكيف يطلب منهم هذا الطلب القاتل، الذي يبدو غير مدروس العواقب.. وكأنه قرار مجنون..

قبل أن يطلب منهم هذا الطلب وأثناء اجتماعهم – الوالد، فواز الابن الكبير، عبد اللّه الأوسط، جابر الصغير – بدأ الوالد بحديث غريب:

الأب: هل قصرت معكم يا أبنائي بشيء؟

الأبناء: نعوذ بالله يا أبانا.. ربيت فأحسنت.. بل إننا نحس بتميزنا على أقراننا بفضل تربيتك..

الأب: وهل إذا طلبت منكم شيئاً غريبا؟ وطلبت منكم تنفيذه دون نقاش، فهل أنتم فاعلون؟

الأبناء: والله لو طلبت ريش نسر في السماء! أو سن قرش في المحيط! لنأتينك به.. فماذا تأمرنا يا أبانا؟

الأب: حسنا.. وإن كنت بذلت وسعي في تربيتكم إلا أنني قصرت في أمر أدركته الآن، وحان وقت إصلاحه.

فواز: حاش لله يا أبي..

الأب وهو يطلق تنهيدة عميقة: أريدكم جميعاً أن تقدموا استقالاتكم من وظائفكم غداً.

الأبناء: ماذا! نقدم استقالاتنا.. ولماذا؟

الأب: ألم نتفق أن لا تناقشوني في طلبي هذا!

تبادل الأخوة نظرات الخوف والشك، ولم يحرك أي منهم شفته!

• • •

لم يزر النوم جفون أحدهم في تلك الليلة، وكان فواز أشدهم خوفاً وهلعاً، فهو مهندس في البترول، درس في الولايات المتحدة، وحصل على وظيفته بصعوبة، وهو يقف اليوم أمام بابين، باب الزواج.. وباب الترقية. فكيف له أن يقدم استقالته!
وفعلا في اليوم الثاني قدم الجميع استقالاتهم على مضض وخوف، وليس شيء أكثر رعباً من أن تشعر وكأنك تقطع رزقك بيدك.. ودون أن تعرف السبب وما وراءه! إلا أنها طاعة الوالد. بل حتى "عبد الله" وهو الأوسط ويعمل محاسباً في شركة كبرى، وله ميول سياسية، وله مشاركات صحفية متنوعة – وللسياسين سحر خاص، وشخصية خلابة ممزوجة بثقة لا متناهية – وبالرغم من قوة شخصيته في المجتمع، إلا أنه وجد نفسه ضعيفاً أمام تنفيذ قرار مثل هذا، وبدا له بأنه مهما بلغت قوة الشخص فإنه ضعيف أمام كسرة الخبز وقهر الدينار.. أما جابر وهو طالب جامعي ويعمل محصلاً في محطة بنزين، انزعج وتضايق، لأنه لن يتمكن بعد اليوم من دفع قسط حبيبته.. عشيقته.. سيارته الرياضية الجميلة.. والتي يرى أنها تساوي الزواج والأطفال والسفر والأكل وكل متع الدنيا.. فهل سيتمكن أن يوفر قسطها؟! لا بد أن أباه حينما طلب منه أن يستقيل، وجد له وظيفة أفضل أو أنه يخبئ له مبلغاً كبيرا!
وفي اليوم التالي "جاؤوا أباهم عشاءً يبكون".. فكلهم بلا وظيفة!
لكن أبوهم لم يكن في المنزل.. وإنما ترك رسالةً مع أختهم الصغيرة "مريم" تقول لهم، أبي سيغيب عن المنزل ثلاثة أيام ثم سيلاقيكم هنا.. ولا تتخذوا أي قرار لحين عودته!
غضب جابر: لا أدري، وكأن أبونا قد جن! يطلب مني أن ألقي بيدي إلى التهلكة وأجلس بلا دخل!
رد عبدالله بحيرة وتيه: لا بد أن له حكمة، فأبونا ليس من النوع المتهور أو غيرالمسؤول.
علق جابر بحسرة:
بالأمس كنت مهندساً كبيراً على وشك الحصول على ترقية العمر.. واليوم أنا متسول بلا عمل! لقد جن جنون زملائي في العمل، وهم يعتقدون أني إما أن أكون قد سرقت سرقة العمر، أو نزل علي ورث من السماء!
سأل عبدالله بكل حيرة:
لماذا يفعل بنا أبونا ذلك؟! لا بد أن هناك سرٌ لا نعلمه!

• • •

مضت الأيام الثلاثة، وكلهم منزو منطو على نفسه، لا يعرف ماذا يفعل، والإنسان كائن غريب أحياناً إذا فقد ركناً من أركان حياته، سعى بيديه لتدمير بقية حياته. فهؤلاء الإخوة الثلاثة، في الأيام الثلاثةً، لم يأكلوا .. لم يخرجوا .. لم يستمتعوا .. بل عجزوا حتى عن الابتسامة، وبدا لهم أن حياتهم كانت سطراً ختم بنقطة الاستقالة من العمل.

وفي اليوم الثالث جلسوا صامتين شاحبين في حضرة والدهم، والذي بدا أقل إنزعاجاً منهم، والغريب أن أياً منهم لم يبتدر والده بالسؤال بل ظلوا صامتين منتظرين الاجابة من غير سؤال، فانطلق والدهم في الحديث مبتسماً بكل حنان:

– بدأت حياتي في العاشرة من عمري، في بوم (سفينة خشبية) برحلة إلى الهند، وكنت مجرد صبي صغير على ظهر تلك السفينة، والتي كانت هي الأخرى صغيرةً في مهبّ ذلك المحيط الجبار، أجلب الشاي والماء وأساعد البحارة، وأنال من الصفعات والضربات على أيدي الربان والبحارة ألواناً وأصنافاً. وكان لي صديق من عمري على ظهر تلك السفينة، وكان ينال أضعاف ما أناله، لأنه كان ينتمي إلى عائلة فقيرة. وأنتم تعرفونه جيداً عمكم "أبو حمد"، صاحب العقارات والوكالات والثروات الضخمة.. ثم لما تفجرت ينابيع النفط في بلادنا كتفجر زمزم بين رجلي إسماعيل عليه السلام، وأغنانا الله من فضله، جاءتنا الحكومة وعرضت علينا وظائف، وبعضها بلا عمل حقيقي! وتبدلت الحال، وأصبحنا نحصل على أعلى الأجور مقابل إتمام معاملة أو معاملتين في اليوم بدلا من أن نعرض حياتنا للموت في أقاصي المحيطات مقابل أجر تافه.. وتعودنا على حياة الرفاهية والخمول، بل وأصبحنا نجلب الخدم من آخر الأرض لخدمتنا.. فزاد خمولنا خمولا وكسلنا كسلا، وماتت تلك الروح القتالية التي كانت تسكننا عبر السنين، وفقدنا حس المغامرة والتعب في تحصيل الرزق الذي كان يغمرنا في الأيام الخوالي..

تنهد الوالد وهو يتفحص عيون أبنائه التائهين، ثم أكمل:

– أما صديقي الفقير أبو أحمد، فقد عمل معي في إحدى الوزارات لأسابيع ثم استقال! لماذا؟ لأنه كان يرى أن هذه الوظيفة لن تفعل له شيئاً، وأنه تحوّل من رجل مغلول بسلاسل ربان السفينة إلى رجل مكبل بأغلال مدير الأدارة ومعاش الحكومة.. فقرر أن يستقيل وأن يعمل لوحده كمقاول بناء.. وهو اليوم كما ترون رجلً غني.. ونظيف السمعة. أما أنا، لقد اكتشفت متأخراً بأن الحياة ليست مجرد عمل أو وظيفة يؤديها الإنسان.. الحياة بأن تكون إنساناً.. أن تكون أنت كما أنت! لا أن تكون أنت كما يريدون! ففي هذه الحياة معادلات غريبة: فالراحة بلا تعب، تعب. والتعب بلا راحة، تعب. والراحة بعد التعب، سعادة. ولكن هذا الاكتشاف قد جاء متأخراً.. قد لا تفهمون حقيقة كلامي الآن! وليس من المهم أن تفهموه.. فقد وقع الفأس بالرأس.. وأنتم جميعاً بلا عمل.. أنتم طيور طليقة.. بلا وظائف تتكلون عليها، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو توكلتم على الله حق التوكل، لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا (أي خاوية البطن) وتروح بطانا)، وخياركم الآن أن تتوكلوا على الله وتعملوا ما أقوله لكم.

بدا الأولاد مستغربين من لهجة والدهم وغرابة تفكيره.. ولكن فعلاً ليس لديهم أي خيارات تذكر! فهم بلا وظائف! وفي أثناء تفكيرهم الصامت، أخرج أبوهم ثلاثة مظاريف صغيرة.. كتب على كل مظروف اسم واحد منهم.. أعطى كلا منهم ظرفه، وقال:

– لن أعطيكم أية محاضرات إضافية، ولكن سيجد كل منكم داخل الظرف مبلغاً من المال يكفيه لعدة أشهر.. وستجدون ورقة صغيرة تدلكم على الطريق الصحيح.. لن أزيد أكثر من ذلك، فكلي ثقة بتربيتي لكم، وتوفيق الله لكم إذا توكلتم عليه وبذلتم الأسباب.

وتركهم في حالة من الذهول!

• • •

لنبدأ بالحالة الأصعب.. "جابر"! طالب الجامعة.. الابن الأصغر المدلل.. وعاشق سيارته..

فتح الظرف فوجد فيه مبلغاً من المال.. وتوقع أن يجد ورقة مفصلة تضع له خطة متكاملة، ولكنه – وبكل إحباط – وجد ورقة صغيرة مكتوب عليها:

"ما تحبه سيحقق لك ذاتك.. ولكن تدرب عليه حتى تتقنه.. ثم استثمر وقتك فيه! ويجب أن ترضى بداية بالقليل من المال والكثير من العمل"

لم يفهم شيئاً من المطلوب.. ركب سيارته الجميلة.. وانطلق يجوب الشوارع وهو يردد "ما تحبه سيحقق ذاتك!" ما الذي أحبه في حياتي أكثر من سيارتي! آه نعم أنا أحب سيارتي وأحب السيارات بشكل مجنون.. وبلا شعور انطلق إلى الشارع الصناعي الذي يعج بمئات الكاراجات الخاصة بتصليح السيارات، وجد كاراجاً متخصصا في تزيين السيارات الرياضية، ووضع اللمسات الخاصة بها.. قادته خطواته إلى داخل الكاراج، تعرف على صاحب الكاراج وتحدث معه لفترة.. تذكر بقية الكلمات الواردة في رسالة والده: "تدرب عليه حتى تتقنه.. قليل من المال كثير من العمل".. سأل صاحب الكاراج:

جابر: كم هي أجرة أقل عامل لديك؟

فأشار صاحب المحل إلى عامل آسيوي في المحل وقال:

– هذا العامل يتقاضى 120 ديناراً (1400 ريال سعودي).

جابر: حسنا سأقبل العمل لديك حتى لو كان بهذا الأجر؟

فوجئ صاحب العمل بعرض جابر، فسأله:

– لكنك خليجي! فكيف ترضى أن تعمل في كاراج وبهذا العمل؟ اذهب إلى الحكومة وستحصل على أضعاف هذا الراتب بساعات عمل أقل!

جابر: اعتبرني مجنوناً.. مغامراً.. أو عاشقا للسيارات..

• • •

أما لدى فواز (الأكبر) فكانت الأمور أغرب..
فقد وجد داخل ورقته سطرا واحداً: **"عالمك أوسع من عالمي.. وأنت أعلم بآفاقه ومجالاته.. استثمر مهاراتك"**.
فواز مدمن وعاشق لعالم الإنترنت، ويعرف مداخله ومخارجه كما يعرف أحدنا راحة يده، وتكاليف مشاريع الإنترنت رخيصة ولكنها تصل إلى عدد غير منته من الناس.. وقصص أصحاب مشاريع الإنترنت الذين بدأوا بكمبيوتر صغير حياتهم وحققوا ثروات فاحشة في الإنترنت تملأ أذنه وتمور في رأسه طوال الوقت، وفي خلال أيام قليلة كان قد انتهى من تصميم موقع خاص بتوصيل بعض المنتجات العالمية التي لا تباع في الأسواق الخليجية – وقد كانت فكرة هذا الموقع في رأسه من أشهر إلا أن الوظيفة كانت تشغله عنه –، وسارع بالتنسيق مع إحدى شركات البريد، لتوصيل المنتجات إلى الزبائن.. وبدأ باختيار المنتجات وعرضها على موقعه.. وخلال الأسابيع الأولى كان المشروع قد فشل، فهو لم يحصل إلا على 10 زبائن خلال 3 أسابيع!

• • •

وفتح عبد اللّه الورقة التي كتبها والده، ليقرأ جملة غريبة:
"آمن بقضيتك.. ولا تخش في الله لومة لائم.. ولكن احذر من المغريات بعد ذلك!"
من غير قصد، قام عبد الله بكتابة مقال يفضح فيه التلاعب بمناقصة حكومية، كان قد اطلع عليها واستنكرها، أمام مسؤوليه ومع زملائه.
وعبد الله سليط اللسان والقلم.. فثارت ثائرة الوزير المعني بالموضوع، وكتب رداً مطولا في الموضوع، فاستشاط عبد الله غضباً وكتب مقالا أشد من سابقه بتفاصيل أدق.. وقد استعان بأصدقاء نزيهين له في الوزارة زودوه بالمعلومات الكافية الفاضحة للتلاعب.. وفي اليوم التالي استدعاه رئيس التحرير، يطلب منه معلومات أكثر عن الموضوع، وانتهى اللقاء بتعيينه محررا في صفحة محلية، وكاتبا بزاوية ثابتة في الصحيفة. وإن كان الراتب متواضعاً إلا أنه بدأ يمارس دوراً رقابيا على جميع أطياف المجتمع.. مؤمنا بضرورة القيام بدور إيجابي وإصلاحي في المجتمع.. وأصبح محل إعجاب وتقدير من المجتمع.. ولكن!

• • •

وخلال سنة..
تدرج جابر في كاراج السيارات الرياضية.. وبدأ يتفنن في عمله.. ويجلب أصدقاءه إلى الكاراج.. وأنهى دراسته الجامعية.. وبدأ صاحب الكاراج في إغرائه بالمال وجانب في الإدارة.. كيف لا وشهادته الجامعية في الإدارة.. ويخشى صاحب الكاراج خروجه لأنه كسب ثقة كل الزبائن، كما أنه يتقن سر الصنعة أكثر من صاحب الكاراج نفسه لما يكنه من عشق للسيارات! فاتفق معه صاحب الكراج على راتب أفضل ونسبة مقابل كل سيارة يجلبها أو يصلحها بيديه.. فجمع مبلغاً من المال لا بأس به وأتى بأخت لسيارته الجميلة أغلى وأثمن..

أما فواز (محترف الانترنت).. فقد استغرق منه العمل فترة طويلة حتى يعرف ماذا يريد الزبائن ومن هي الشريحة التي تشتري منه.. وبدأ بتطوير موقعه شيئاً فشيئاً حتى انتقل إلى خانة الربح.. وهو اليوم يملك أكثر من 4 مواقع على الانترنت.. لبيع العقارات والسيارات والأثاث المستعمل والإكسسوارات، وتدر عليه ربحاً جزيلا! وهو على وشك الزواج.

أما عبد الله السياسي، فقد تحول من مجرد كاتب مقال ومحرر في الجريدة .. إلى صديق مقرب من صاحب الجريدة، يستعين به في تحديد المواضيع الكبرى للجريدة، وسياساتها العامة، وهو يستعد لخوض الانتخابات البرلمانية.

ومضت عدة سنوات، وهم كبوم خشبي في عرض المحيط، ترفعه الأمواج وتحطه، تثور به البحار وتصالحه.. لكنه يشق طريقه بكل ثقة نحو مينائه.. وبالرغم من تباين ميولهم وأعمالهم إلا أنهم كانوا يتعاونون فيما بينهم.. فلو التقى عبد الله بصديق له سيارة رياضية يريد أن يحدثها ويطورها، فإنه يدله على أخيه جابر لكي يقوم بالعمل.. ولو تحصل فواز على معلومات سياسية أو اجتماعية، فإنه يبادر بنقلها إلى أخيه عبد الله لكي يستفيد منها في نسج مقال أو تحرير موضوع.. وإذا أراد أحد أصدقاء عبد الله أو جابر شراء شيء توفره مواقع أخيهم فواز، فإنهم يرشدون أصدقاءهم إليها..

وبعد سنوات مضنية من العرق والتعب، دعاهم والدهم لاجتماع جديد مرة أخرى..

• • •

ذهب الأخوة هذه المرة وهم في غاية الخوف من الاجتماع الجديد! فهل ستكون هناك قرارات مجنونة صائبة أخرى؟

ابتسم والدهم هذه المرة ابتسامة ظفر وهو يحدثهم:

– لا تخافوا لن أطلب منكم أن تستقيلوا من وظائفكم من جديد.. إنما أريد أن أسألكم: من منكم يشعر بالحزن على فقدان وظيفته اليوم؟!

ابتسموا جميعاً بكل رضى.. ليعلنوا صحة القرار المجنون.. نعم، المجنون لكنه النابع عن حكمة والدهم.. فأكمل أبوهم قائلا:

– الشيء الوحيد الذي يتساوى فيه الغني والفقير.. والصحيح والعليل.. وكل الناس في الدنيا.. هو "الوقت".. ولو أعدنا النظر في الوقت لوجدنا أنه هو جوهر حياة الإنسان وحقيقتها! وهو الشيء الوحيد الذي يتحرك بوتيرة ثابتة تعجز عن إيقافها.. وتعجز كل ملايين الدنيا عن إرجاع ثانية واحدة منه.. ولكن كل إنسان يستثمر هذا الوقت وفق منظوره وطموحه.. وقدراته ومهاراته.. والبعض ينتهي وقته وقد أنجز الكثير وحقق ما يصبو إليه.. أما البقية فيقتلهم وقتهم! وقد رأيت كيف استثمرتم وقتكم في هذه السنة في تحقيق ذواتكم وحياتكم.. ماذا لو أنكم ما زلتم أسرى لوظائفكم وحياة الخمول التي كنتم تعيشونها! أنا لا أريد أن أقول بأن الوظيفة دمار.. بل أن أقول أن الوقت عمار.. فكل إنسان قد يستطيع أن يحتفظ بوظيفته وينجز أشياء أخرى.. المهم أن لا يضيع هذا الوقت من أيدينا.. وأراكم أحسنتم توكلكم على الله واستثمار مهاراتكم في أوقاتكم، فأحسن الله إليكم.. الآن فقط أستطيع أن أطمئن عليكم وقد أصلحت تقصيري وأقول: اذهبوا فانتم الطلقاء..

rekaaz.com
شركة محمد عبد المحسن الخرافي وأولاده ذ.م
idea marketing
الوطن
بنك البحرين الإسلامي
روهانتك
banta
سوق شرق